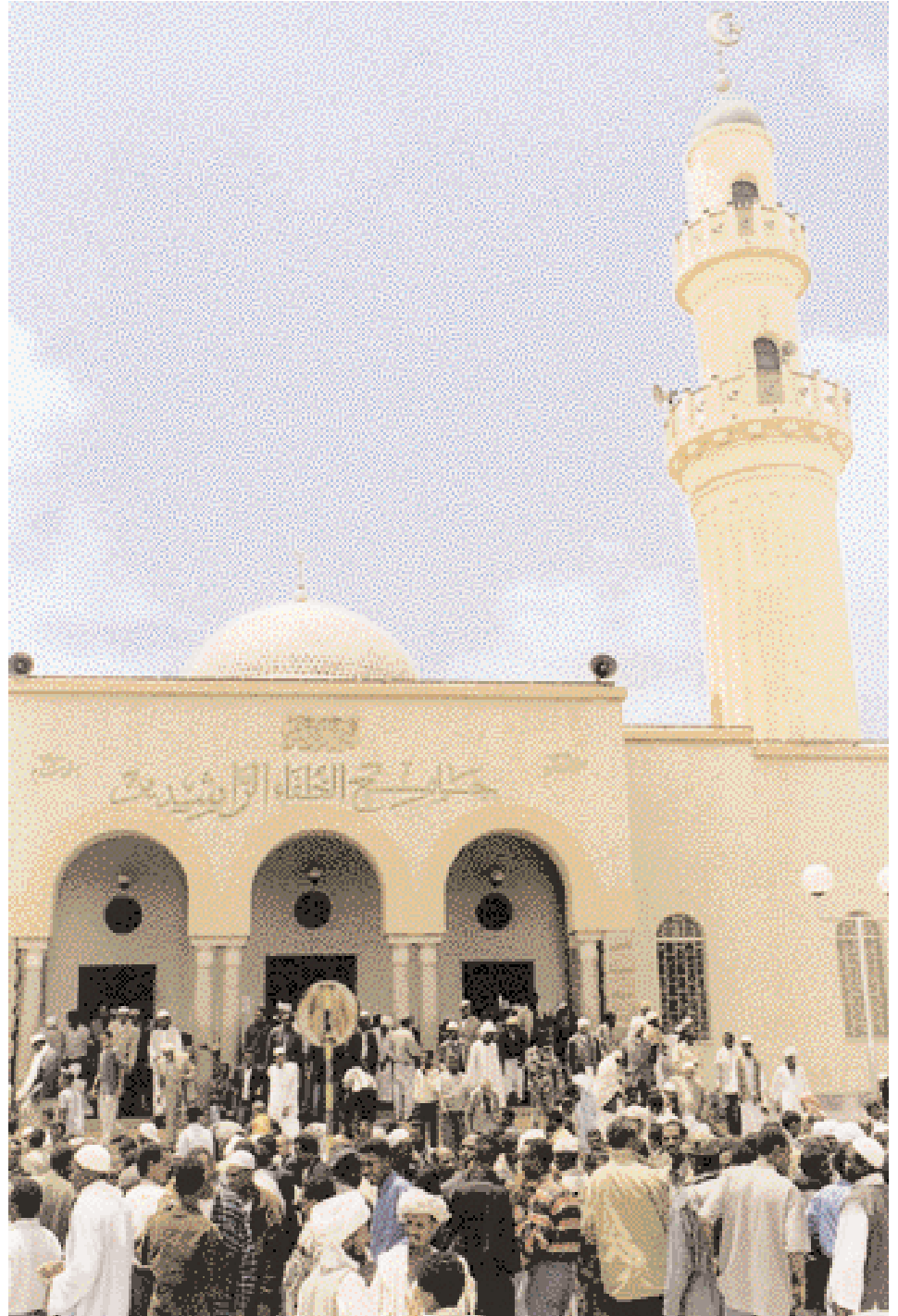


# إرتريا

## لؤلؤة البحر الأحمر .. ووردة البر الأخضر

القاهرة-منير الفيشاوي

أرض قديمة قدم التاريخ السحيق. جديدة كالغد. سماؤها زرقاء بلا صدوع. مياهها رفاقة صافية صفاء الكريستال. مئات من الكيلو مترات من الشواطئ البيضاء. يزين جبتها عقد لؤلؤي من الجزر المتناثرة وسط خلفية فيروزية اللون من المياه اللازوردية الخلاب. أراض متناحية الحسن تتخللها عيون معدنية وسط جبال سندسية خضراء رائعة الجمال .. يحيط بك أينما حللت فيها. شعب بفيض بالحوية. وهو ودود ذو تقاليد وتراث وأصالة ضاربة جذورها في أعماق الزمن .. إنها إرتريا .. عروس القرن الأفريقي وسيدة حسنه وجماله وواحة الأمن والأمان التي فتحت ذراعيها لوفد "السياحة الإسلامية" مؤكدة على لسان "أمنة نور حسين" وزيرة سياحتها. أن السبق الصحفي المتحقق من جراء زيارة إرتريا والكتابة عنها .. هو الأول من نوعه على مستوى الصحافة العربية السياحية .. وربما أوسع من ذلك. <



جامع الخلفاء الراشدين.  
The Caliphs Mosque.



## الوصول إلى أسمر

غادرتنا مطار حمبولي الجيبوتي تظاهرتنا جهود دبلوماسية رائعة. من محمود عمر طروم سفير إرتريا بالقاهرة. واهتمام كبير من محمود علي جبرا سفيرها النشط في جيبوتي. ومتوجهين إلى العاصمة الإرترية. أسمر في رحلة استغرقت حوالي سبعة دقيقتين. استمتعنا خلالها بالتكييف البارد بالطائرة. الذي عوضنا عن حرارة جو شهر يوليو (تموز) في جيبوتي. وحين انفتح باب الطائرة بعد أن حطت بسلاط على أرض المطار. دهشنا بتكييف رباني أبرد من تكييف الطائرة. وذلك لأن مدينة أسمر تقع على ارتفاع 8366 قدماً فوق مستوى سطح البحر. وما أن هبطنا سلم الطائرة حتى وجدنا الدبلوماسي محمد عثمان موسى مدير دائرة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بوزارة الخارجية الإرترية يرحب بنا. ملامساً مقدمة كتفه الأيمن بمخيلاتها في أكتافنا اليمنى وكأنه نصف عناق. ثم دعمه بمصافحة يدوية حارة وابتسامة نقية. إنها التحية الحارة على الطريقة الإرترية. ثم إصطحبنا إلى قاعة كبار الزوار التي مكثنا فيها حيناً نتجاذب أطراف الحديث. بعدها غادرتنا المطار متوجهين إلى مقر إقامتنا. وأثناء سيرنا على الطريق من المطار إلى مدينة أسمرنا وحيث كنا نلتفت هنا وهناك بينما بدأت معالم المدينة تتوالى. إلى اليمن منطقة "سمبل" أو "كوريا" السكنية الراقية. يقابلها إلى اليسار فندق إنتركونتيننتال. ثم إلى اليمن أرض المعارض "إكسبو". كان موسى يلقي على مسامعنا. بإيجاز واف و متمكن. معالم إرتريا الرئيسية. حيث قال:

أكثر المناطق السياحية أهمية مدينة أسمرنا العاصمة. وهي قريبة من محميات الطيور والبحيرات الصناعية والجبال الشاهقة الممتدة. و"كرن" معبر إلى غرب وشمال إرتريا.

و"عيلابرد" درة الأراضي الزراعية المنتفة وتلال الأرياف ومصحة شمال بحري واثار فريدة من غابات استوائية ومواقع أثرية قديمة منتشرة في أرجاء البلاد. و"نفقة" حيث التحصينات القوية تحت الأرض لحركة التحرير. ومنتجات وسواحل البحر الأحمر مثل ميناء مصوع وعصب وغيرها وامتدادات شواطئ 354 جزيرة من الجزر الإرترية المنتشرة كالأشجار العنقد والزخرفة بحياة البراري والطيور النادرة. أربع منها مأهولة بالسكان وأهمها جزيرة "دهلك كبير" التي تبعد 60 كم عن مدينة مصوع. بينما مياه البحر الفيروزية تنتشر في أعماقها الأحياء البحرية والشعاب والحدائق المرجانية الرائعة.

## إرتريا الاسم .. والموقع

عرفت إرتريا لدى الفرانعة المصريين.. أي منذ آلاف السنين. حيث ظهرت في كتاباتهم الهيروغليفية. وقد أطلق عليها الإغريق اسم "سينيوس ارتريوس". وقد تعود تسمية إرتريا إلى الكلمة العربية "أرت" أو "أرت" وتعني النار المتقدة ذات اللهب الأحمر. زاد عليها اليونانيون لفظ "يا" التي اعتادوا إنهاء أسمائهم بها. فأصبحت التسمية "إرتريا" للدلالة على المناخ الحار لمناطق السهول بها. أو

The ancient Wagrenea.

منطقة آثار "قيرو".

وفي لقائنا بفضيلة الشيخ الأمين عثمان مفتي الديار الإرترية. قال إن الأمن الذي يتمتع به المجتمع الإرتري هو عائد للوحدة الوطنية والتعاون والانصهار في بوتقة واحدة ونسيج واحد. يجمع ما بين المسيحيين والمسلمين المكونين للمجتمع الإرتري بنسب متساوية. وناشد فضيلة المفتي الدول الإسلامية والجمعيات والمنظمات الخيرية والمدنية أن تشارك في بناء المساجد في إرتريا. حيث إن الحكومة الإرترية تمنح مساحات أرض مجانية فقط - لإنتهاجها سياسة علمانية - وهذه الأراضي الممنوحة للمسلمين تحث عن تشييد عليها المساجد. كما دعا كل الخيرين الإسلاميين في العالم لتقديم يد العون للمسلمين في إرتريا.

## أسمر .. مدينة الزهور

وتشتهر أسمرنا بلقب "مدينة الزهور" لكثرة انتشار زهور الجكاراندا والبوجوفيليا بها. ولعل انتشار الحدائق ومحلات بيع الزهور بها جاء نتاجاً لتأثير الإستعمار الإيطالي لإرتريا والذي قبع هناك بين عامي 1890 - 1941 وألقى بظلاله أيضاً في إحداث التمازج العماري بين الطرازين الإيطالي والإرتري للمباني والفيلات المكونة لمعالم مدينة أسمرنا (العاصمة) والمعروف بإسم "ديكوارت" خصوصاً في الجزء القديم منها والمنتشرة في أنحاء الأشجار الباسقة والنخيل والذي ما يزال يحافظ على طابعه المتوسطي حتى الآن.

وتعتبر بحيرة "ماي سره" والتي تقع على حدود مدينة أسمرنا والتي هي بمثابة إحدى ضواحيها من أجمل المناطق السنديسية الخضراء. حيث تنتشر بها الأشجار الخضراء الباسقة. والزهور والورود رائعة الجمال والألوان المندرجة والمكونة للوحة طبيعية حبة تحيط بمياه البحيرة من جانب. وتطل عليها كافيتريا يمكن للزائر الجلوس بها وتناول المشروبات والمأكولات الخفيفة. بينما تنتقل الأبصار وتتغذى العيون بروعة الجمال الرباني الذي أنعم الله به على تلك المنطقة.

## أسمرنا .. السطح والمناخ

يعود اعتماد مدينة "أسمرنا" كعاصمة لإرتريا إلى العام 1898 حيث قام فيرناندو مارتيني أول حاكم مدني لإرتريا بنقل العاصمة إليها بدلاً من مدينة "مصوع".

على الطحالب الحمراء التي كانت تطفو على شواطئها. وتبدو خريطة الدولة الإرترية في مجموعها على شكل "فأس" يبدأ مقبض عصاه من الجنوب متجهاً نحو الشمال حيث رأس الفأس الذي يتجه حده أو نصله نحو الغرب قليلاً. وتميل هذه العصا قليلاً مع ميل الساحل الغربي للبحر الأحمر بامتداد 1200 كيلو متر تمثل طول الساحل الإرتري. ويحد إرتريا دولة جيبوتي من الجنوب الشرقي، وأثيوبيا من الجنوب. والسودان من الشمال والشمال الغربي. مفترضة مساحة 124320 كيلو متراً مربعاً من أرض شرق القارة الأفريقية بمنطقة شمال القرن الأفريقي عند خط طول 36 - 43 درجة شرق. وخط عرض 12 - 18 درجة شمال.

وتتكون إرتريا من ستة أقاليم يتبعها 55 مديرية. هذه الأقاليم هي: الإقليم الأوسط. وعاصمته "أسمرنا". وإقليم عنسبا وعاصمته "كرن". وإقليم شمال البحر الأحمر. وعاصمته "مصوع". وإقليم جنوب البحر الأحمر. وعاصمته "عصب". وإقليم القاش بركة وعاصمته "بارنتو". ثم الإقليم الجنوبي وعاصمته "مندفرا".

## إرتريا الآمنة

وقد خاضت إرتريا على مر تاريخها حروباً خيرية عديدة. وبعد التحرير بدأ تعطش الإرتريين للحياة الهائنة التي يسودها الأمن والأمان والطمأنينة. وهذا هو ما شعرنا به. بل واستمتعنا به طيلة خمسة عشر يوماً هي مدة زيارتنا إليها من خلال مشاهدات عديدة. أبرزها الابتسامات الدائمة المرتسمة على وجوه الإرتريين والإرتريات الذين يتعاملون مع بعضهم البعض ومع زائريهم من الأجانب بود ملحوظ. فلم يصادفنا في الشوارع الإرتري على إطلاقه مشاجرة واحدة في شارع أو سوق. وكلم تركنا السيارة التي تقلنا وأبوابها مفتوحة نوافذها دون أن ينتقص أو يسرق منها شيء. كما لم يواجهنا سلوك فظ لسائق سيارة أجرة أو محاولة ابتزاز منه لراكب محلي أو أجنبي. وكثيراً ما رأينا الفتيات والسيدات يسرن في شوارع أسمرنا بعد منتصف الليل في طمأنينة دون خوف من حدوث مكروه لهن.

وكذلك لم نلاحظ وجود حراسة أمنية مشددة أو غير مشددة على مبنى وزارة أو مكتب وزير أو مسؤول كبير. أو دراجة بخارية تتقدم سيارة أحدهم أثناء سيرها بأحد شوارع العاصمة أسمرنا!

تعطي الحكومة الإرترية الأولوية للمشروعات الاستثمارية السياحية، هادفة تنمية البنية التحتية للسياحة الإرترية، سواء كانت تشييد الفنادق والمنتجعات السياحية بكافة أنحاء إرتريا. أو إنشاء المطارات الجديدة مثل مطار مصوع الدولي الذي اقترت موعداً افتتاحه وتشغيله، وجديد خط قطار السكك الحديدية الذي يخترق الجبال والمناطق الوعرة، واجتذاب جهات دولية للتنقيب عن الآثار وترميمها. هذا بالإضافة إلى المحافظة على المباني القديمة وبضمنها الكنائس والمساجد والعناية بها، وإنشاء المدارس الفندقية، ومراجعة وتطوير القوانين المتعلقة بالاستثمار العربي والأجنبي وتشجيعه وتسهيل إجراءاته، وسوف تشهدون نتائج ملموسة في كل هذه المناحي في غضون سنتين من الآن.

## مصوع .. بوابة الإسلام إلى إفريقيا

تعتبر مدينة "مصوع" عاصمة إقليم شمال البحر الأحمر حالياً، من أقدم موانئ البحر الأحمر، وكانت مدينة مصوع تسمى في الماضي "باصع"، ويسمى الناطقين بلغة التجري "باطع". كما كان اسم "مصوع" يقتصر على الجزيرة التي تسمى "راس مدر"، ثم شملت هذه

واسعة يستغلها البعض في افتراش الحصر والسجاد للصلاة حين يمتلئ هذا المسجد الكبير بالمصلين، ويحيط بهذا المسجد العديد من الأسواق. ومن أهم أسواق أسمرأ سوق السلال، وسوق البهارات، و"شوووق" الفاكهة والخضر، هذا بخلاف الحوانيت التي تباع الملابس والتحف والأجهزة وما شابه. كما جذب أنظارنا أثناء التجول بالعاصمة الإرترية قصر الحاكم فرندانومارتيني الذي بنى عام 1905م، ومسرح أسمرأ.

وتنتشر في معظم أنحاء أسمرأ العديد من الفنادق المميزة، يأتي في مقدمتها انتركونتيننتال بالقرب من المطار وهو الفندق الوحيد بها ذو الخمس نجوم، كما يضم حي ترافولو الراقي فنادق: الأسكالا وإكسبو وبولونيا، هذا بالإضافة إلى فنادق هامة أخرى مثل : صن شاين - سافانا- أمباسيرا وغيرهما، ومعظمها بمستوى ثلاثة نجوم.

## السياحة الإرترية .. "أمنة"

يقود مسيرة السياحة في إرتريا سيدة شابة، تدعى "أمنة نور حسين" وزيرة السياحة، وهي نموذج يجمع ما بين الصرامة والحنان والرقى. بدأت أسئلتنا تنطلق بإجاءة الوزيرة والتي كانت تجيب عليها بثبات، حيث قالت:

وبالإضافة إلى كون أسمرأ عاصمة للدولة الإرترية، إلا أنها أيضاً عاصمة "الإقليم الأوسط" التابعة له، والذي يضم كذلك بحيرة "ماي نحي" التي تبعد 20 كم جنوب غربي أسمرأ، وقرية "عدى شاخا" حيث البحيرة الصناعية المليئة بالأسماك، والتي يقع في محيطها مزارع البطاطا والبروكلي والخضراء، وحيث يقع خلفها قرية "زافر" الصغيرة التي تضم مزارع البن والغابات الخضراء التي تعج بالغزلان والقرود وطيور الجباري. وتعتبر مدينة أسمرأ من مدن المرتفعات، حيث يبلغ إرتفاعها 8366 قدماً فوق سطح البحر، لذا يشعر زائروها من وقت لآخر بنقص الأكسجين، ما يجعل المرء يشعر من وقت لآخر بالحاجة إلى استنشاق نفس شهيق عميق يعوض عن طريقه هذا النقص الأكسجيني، وطقسها يتراوح بين البارد والمعتدل في الشهور ما بين نوفمبر ويناير، أو الدافئ (على أقصى تقدير) في الشهور الحارة الواقعة بين أبريل ويونيو من كل عام، ومتوسط درجة الحرارة بأسمرأ تبلغ حوالي 17 درجة مئوية بشكل عام.

## معالم أسمرأ .. تتحدث

وبالتجوال في شوارع أسمرأ رأينا الشباب والفتيات يفضلون السير جيتة وذهوباً في شارع الحرية ويسهرون حتى الساعات الأولى من الصباح في مطاعمهم وكافيترياته، مرتدين الجينز وأحدث صيحات الملابس، بل ويتحدث البعض منهم الإنكليزية والألمانية والإيطالية مع بعضهم البعض. ومن أهم ساحات مدينة أسمرأ "ميدان الشدة" (أو ميدان الشهداء) والذي يتوسطه نموذجاً لفردة صندل، وهو رمز على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للمقاتلين الذين كانوا يرتدون جميعاً إبان الكفاح والقتال ضد الهيمنة والإستعمار، وبالقرب منه تأتي منطقة مقابر الشهداء.

ويتربع مسجد الخلفاء الراشدين والذي بنى عام 1900م بجوار وسط مدينة أسمرأ، حيث تبدو أمامه ساحة

مسجد قديم بمدينة مصوع.  
An old mosque in Massawa.





كنيسة على قمة أحد الجبال.

A church on the top of a mountain.

في درجات حرارة الجو حيث يربو الفارق إلى حوالي 15- 20 درجة مئوية بين المدينتين، لذلك تعتبر مصوع بمثابة مصيف ساحلي على مدار السنة.

وتبرز أهمية مدينة مصوع في كونها تجمع ما بين الأنشطة الحيوية المغذية للاقتصاد الإرتري، كالميناء والسياحة الشاطئية والدينية. ويعتبر ميناء مصوع البحري هو المنفذ الأول والرئيسي المطل على البحر الأحمر لخدمات نقل الركاب والبضائع من وإلى إرتريا من ناحية، وكذلك لخدمة نفس الأنشطة للدول المجاورة، مما يساهم في إنعاش حركة التجارة والسياحة بالبلاد، حيث تأتي مدينة مصوع والجزر التابعة لها في مقدمة المدن الساحلية الإرترية التي تشتهر بالسياحة الشاطئية علاوة على السياحة الدينية الإسلامية. فهذا شاطئ "قرقسوم" المكتظ بالمصطافين يرحون هنا وهناك يمارسون ألعاب الشاطئ ورياضات البحر ويسبحون في مياهه الصافية، ويستمتعون بمنشآتته التي توفر الخدمات والراحة لهم، كما رأينا هناك بدوياً يقود جملاً يتهافت المصطافون على التقاط الصور معه وسط الشماسي المتناثرة على الشاطئ؛

ومن أهم معالم مدينة مصوع منطقة المدينة القديمة، التي تحافظ على الطراز المعماري القديم الخاص بها، والتي تستهوي الزائرين الأجانب، حيث تنتشر حوانيت بيع الهدايا، وكذلك المطاعم التي تقدم وجبات شعبية إرترية شهيرة مثل "الأخيرا" و"الزقني" والتي تعتمد في صنعها وتقديمها على قطع صغيرة من اللحم المختلط بعصارة حارة ذات نكهة خاصة توضع فوق نوع خاص من الخبز الطري المسمى "كسرة" والمصنوع من دقيق الذرة والذي يميز طعمه الحموضه اللانعة المحببة.

من ناحية ثانية تزخر مدينة مصوع بالعديد من المساجد ذات طرز معمارية إسلامية متفردة، من أهمها مسجد أبي حنيفة والذي يرجع تاريخ إنشائه إلى بدايات القرن الثالث عشر الميلادي أي قبل حوالي ثمانمائة عام، ومسجد الشيخ حمّال والذي بنى قبل حوالي 450 عاماً. هذا بالإضافة إلى عدد كبير من المساجد حديثة البناء.

## مصوع .. المرفأ والمدينة السياحية

ورحلتنا من أسمرأ إلى مصوع والتي استغرقت زهاء الساعتين، أكدت لنا أنها ختاج إلى سائق بارع وبخط. فنقومه أسفلت الطريق المعبد والملتف على حواف الجبال والذي تم تشييده بواسطة الإيطاليين. يغرى قائد أي سيارة على نهبه، والمشاهد الرائعة لطبيعة خلابة من صنع الخالق عز وجل، تأخذ العيون وتسحر الألباب. فاللون الأخضر الذي يجرحه من أن لآخر لون التربة الحمراء هو بمثابة خلفية لتلك اللوحة الطبيعية الحية، والتي تنتثر خلالها بعض القرى التي تبدو مبانيها وكنائسها ومساجدها هنا وهناك، حيث يبدو في بدايات الطريق "دير دبري بز" وهي كنيسة معلقة على قمة الجبال ومقامة فوق نائث شديد الإنحدار، ثم مدينة "قندع" والتي تشتهر مطاعمها بتقديم طبق "الكبريتو"، يليها طريق متعرج عند بلدة "دونقولو" والتي تمتد كافة أنحاء إرتريا بالمياه المعدنية من ينابيعها في سهل "سبارقوما" والذي تطل عليه قلعة "سحاطيت"، وبعد قليل وصلنا إلى جزيرة "طالوت" وهي إحدى الجزيرتين اللتين تكونان مدينة مصوع والمرتبطين مع البر بطريق طويل.

ويعتبر الانتقال من أسمرأ إلى مصوع هو رحلة التناسب العكسي، فهو هبوط من فوق هضبة بإرتفاع 8366 قدماً فوق سطح البحر إلى مستواه، يقابله ارتفاع كبير

التسمية ضواحيها. وقد امتد نفوذ الأمويين إلى مصوع حيث بسطوا نفوذهم عليها، ثم قامت بها سلطنة عرفت بولائها للخلفاء العباسيين في بغداد، وفي فترة أخرى أصبحت ولاية تابعة لمكة المكرمة ثم نقلت تبعيتها إلى جدة، وفي عصور قريبة كانت مصوع امتداداً لممالك "البجة" ثم جزءاً من سلطنات الطراز الإسلامي وأخيراً السلطنة الزرقاء في "سنار" بالسودان ما بين سنة 1504 إلى 1820 ميلادية.

وقد لعبت "مصوع" والجزر التابعة لها دوراً تاريخياً كبيراً إبان الهجرات العربية خصوصاً الإسلامية منها. ففي عام 612 ميلادية هاجر من مكة 132 من الصحابة القرشيين و53 صحابياً من اليمن إليها، حيث نزلوا في رأس مدر والتي تقع حالياً داخل حظيرة الميناء بمدينة مصوع، فبنوا مسجداً صغيراً وبلطوا مساحة واسعة أمامه وتدعى "استراحة الصحابة"، لذا يؤدي المسلمون من سكان مصوع حتى اليوم صلاة العيدين بها، تيمناً بأنها البقعة الأولى من اليابسة الإرترية التي أدى فيها أصحاب الرسول (صلعم) من المهاجرين صلواتهم عند نزولهم.

وقد قمنا بزيارة لاستراحة الصحابة برأس مدر، فوجدناها مجرد بناء صغير عبارة عن منبر تعلوه قبة صغيرة، والمبنى مربع لا يزيد طوله وعرضه عن ثلاثة أمتار، أمامه مساحة واسعة مبلطة يحيط بها سور بارتفاع حوالي نصف متر، ولا يقف على هذا الموقع السياحي الهام جداً حارس واحد أو مرشد سياحي، لذا فقد ناشدنا وزيرة السياحة الإرترية "أمته نور حسين" إبان لقائنا بها في مكتبها، ضرورة الاهتمام بأول موطن قدم للمسلمين في قارة أفريقيا والتمثل في "استراحة رأس مدر"، ما سيسههم في مضاعفة حركة السياحة إلى إرتريا، وقد وعدت بأخذ ملاحظتنا هذه بعين الاعتبار.



مشهد عام لشاطئ "قرقسوم" بمدينة مصوع.  
The coastline of Gurgusum.